

لاقامت الحرب ولاقتعد الناس في سوريا والأردن!



أنيس منصور

إننا في العالم العربي لم نهز كثيرا لما حدث . إنما قد استقر بنا الحزن على حالنا . والأسى على مصيرنا . فبعد حرب أكتوبر أصبحت الأمة العربية قوة سادسة . ولكنها الآن لم تعد قوة ، رغم الإمكانيات البتروولية التي تملكها ..

فالذين يأخذون الأمور بعديّة بدأوا يحسون : كيف يكون الهجوم السوري .. وإلى أي حد تستطيع سوريا أن تصمد أمام الجيش الأردني الذي هو أفضل كثيرا من الجيش السوري .. وكيف تستطيع سوريا أن تحارب في جبهتين : لبنان والأردن ! .. وكيف تستطيع ليبيا أن تساعد مايا ومعنويا .. وإذا كانت سوريا لم تشع بعد من القضاء على الفلسطينيين في لبنان فهل تقع بالقضاء عليهم في الأردن .. وإذا لم تحقق سوريا تقدما على الأرض الأردنية فهل تسحب قواتها من لبنان .. وإذا سحبتها من لبنان ، فهل تضمن حياة الفلسطينيين وصمت إسرائيل ؟ ..

هل تستطيع سوريا أن تحتل أرضا أردنية ، وأن تظل تضع قدما في لبنان والأخرى في سوريا .. وبذلك تضمن أن يظل جيشها خارج البلاد .. فإذا كان الجيش خارج سوريا ، فيأى شيء يحكم العلويون الأغلبية السنية وكيف يواجهون الإخوان المسلمين وكيف يقضون على الحرب الأهلية في البلاد .. هل يستخدمون البوليس لقمع الشعب السوري ، ويحشدون الجيش لتصفية الشعب الفلسطيني في لبنان وفي الأردن .. وإذا كان هذا هو الهدف السوري فما هو الفرق بين سوريا وإسرائيل ؟ ..

لقد غضب مني الرئيس حافظ الأسد عندما كتبت مرة أقول نقلا عن شخصية مصرية كبيرة، حادثة سمعها من د. كيسانجر . قال كيسانجر إنه بسبب الإرهاق الشديد نام بضع لوان وهو يتحدث إلى الرئيس الأسد . ولما أفاق من هذا النوم القصير لم يعرف بالضبط إن كان في سوريا أو في إسرائيل .. فالدولتان تتكلمان لغة واحدة ! ..

وفي اجتماع الرياض قال لي السيد عبد الحليم خدام إن الرئيس الأسد شديد الغضب لهذا الذي كتبت ! ..

أحد النقاد الساخرين وصف أديب فرنسا العظيم فيكتور هيجو بأنه من كثرة النظر إلى داخله ، انقلبت عيناه . فلم يعد يرى بها ! ..

ولاشي يصدق علينا نحن العرب ، أكثر من هذه العبارة . فقد انقلبتا على أنفسنا . وانكفأنا على ضمائرنا . فلم نعد قادرين على الرؤية أو الرأي . ولذلك ضاق الكاتب بالقلم . وضاق القارئ بالصحف . وضاعت الحقيقة ! ..

وفي عالمنا العربي لاشيء جديدا قد حدث . ولكنه القديم يتدهور ويتردى ويتفاهم . مثلا : التهديد بغزو الأردن . فسوريا حشدت رجالها ودباباتها وطائراتها على حدود الأردن الشقيق . إذن فهي حرب أو تهديد بذلك . لماذا ؟ وهو سؤال لا ضرورة له . لأننا نعرف الآن جيدا أنه إذا اختلف اثنان من العرب كانت النتيجة : ثلاثة من الخونة ! .. وقد سبقت الحشود السورية سحب وأمطار ورعد وبرق من الشاتم والغضب على الملك حسين لأنه أصبح عميلا لاتفاقية كامب دافيد ، أي الاتفاقية التي أدت إلى انسحاب إسرائيل من سيناء تمهيدا لجلاتها عن بقية الأرض المحتلة - إذا أراد العرب ذلك ..

ولما كان الملك حسين يريد أن يضم الضفة الغربية إلى مملكته . وبذلك ينهي المشكلة الفلسطينية . فهو أيضا خائن . ولذلك كانت عقوبته ضرورية . والعقوبة هي الهجوم عليه ! !

ومن الممكن أن تقع حرب بين سوريا والأردن . ولكن النجاح في هذه الحرب ليس مؤكدا . إنما المؤكد هو الضحايا العرب . والمؤكد أنه لا قضية هناك . ومادام لا قضية ، فليس هناك هدف . إذن فلماذا ؟ ولا يختلف هذا التساؤل عن تساؤلات سابقة ، في أنه لا معنى له . لأنه ليس من اهتم في العالم العربي حين تتساءل كثيرا أن تتوقع إجابة من أحد على شيء . والأدلة على ذلك عديدة : احتلال القوات السورية للبنان .. والغزو العراقي لايوان .. والعنودان الليبي على تشاد ؟ ..

Illustration: The author

A black and white portrait of a man with dark hair, wearing a dark suit jacket, a light-colored shirt, and a dark tie with small white dots. He is looking slightly to the left of the camera with a neutral expression. The background is a textured, mottled grey.

وجد ، تطابقا ، بين الاستراتيجية الأمريكية
والعصرية .

العدد ٢١٦ - الاحد ١٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٠

ولم تؤثر فيه وجوها ولا دموعا ، ولم تهزه الدماء التي سالت ، ولا الحمد الذي مزقه . فقد نسي ذلك تماما . ولم يذكر إلا أنه أمام شيء جديد ! وعاد العالم كله مرة أخرى إلى ما كان يعتقد من أنه لا يصح تصديق هؤلاء العرب : إنهم يصنعون الكلام ويدمنونه .. وكان العالم قد نسي ذلك عندما حاربنا في أكتوبر وانتصرنا . يومها أدرك العالم أنه أمكن فعلا أن يستعد العرب للحرب . وأن يجاروا وأن يبدعوا كل أجهزة الخبايا .. وأحس الغرب بأننا جعلناهم يلتفتون بأننا كذابون مهوشون وهواشون .. ونحت هذا السار تقدمت قواتنا وحاربت وانتصرت . وراجع الغرب نفسه وقال : لابد أن تصديق هؤلاء العرب . لأنهم في حرب أكتوبر قالوا وفعلوا . وعندما فعلوا انتصروا ..

حق جاءت حرب سوريا والأردن فلم يحدث شيء .. والحمد لله أن شيئا لم يحدث . ولكن الذي حدث هو أن العرب عادوا إلى كذبتهم فازدادوا تمزقا وهوانا على أنفسهم وعلى غيرهم .. لقد طلبت أمريكا من مصر أن تسمح لها بتقل قطع الغيار من مطار غرب القاهرة إلى عمان . فوافقت مصر على ذلك تدعيا للموقف الأردني ضد الغزو السوري .. وتمشيا مع السياسة التي أعلنها الرئيس السادات من أن مصر سوف تعطي تسهيلات لأمريكا ، ولأية دولة غربية . لعلها تحتوي الحرب بين العراق وإيران ، أو دفاعا عن أي بلد عربي أو إسلامي ..

لقد أرادت سوريا وروسيا أن يكون الأردن لبنان أخرى أو إيران جديدة أو أفغانستان العرب .. وبق ، وسوف يبقى طويلا هذا السؤال : ما الذي قدمته سوريا أو غيرها للشعب الفلسطيني ؟ ما هو الطريق الذي اختارته سوريا أفضل من كامب دافيد حلا لمشكلة فلسطين ؟ ..

والجواب المعروف لدينا هو : البديل الأوربي .. أي أن تقوم الدول الأوربية ذات المصالح المؤكدة في العالم العربي بمحاولة تتوازي أو تتفوق على اتفاقية كامب دافيد التي أعلنت الإدارة الأمريكية الجديدة تمسكها بتنفيذها . فكيف تستطيع الدول الأوربية المختلفة ، ومن ورائها الدول العربية الممزقة ، أن تحل القضية دون الاستعانة بأمريكا - وهي الدولة القادرة اليوم وغدا على أن تضغط على إسرائيل وعلى مصر أيضا .

من المؤكد أن الدول الأوربية لا تستطيع معا ، ولا واحدة واحدة . وقد ناقشت طويلا منذ أيام مع عدد من كبار محرري الشؤون العربية في الصحف البريطانية . ومع رسميين من مجلس العموم ووزارة الخارجية البريطانية وكان من القضايا أن العرب يتساءلون : ولماذا لا تفعل بريطانيا شيئا ؟ أي بريطانيا التي كانت تحتل الخليج والعراق ومصر ثم خرجت .. ولا يخفى الانجليز سعادتهم بالسؤال . وتعاستهم عندما يحاولون الإجابة عنه .. فهم سعداء عندما يذكرون أيام الامبراطورية يوم كانوا سادة هذه المنطقة في القرن التاسع عشر حتى منتصف هذا القرن .. ولكنهم يستشعرون الأذى عندما يقولون : إن بريطانيا دولة كبرى وليست دولة عظمى .. فالعظمة لأمريكا وروسيا وحدهما . ثم يتساءلون : كيف تكون المساعدة البريطانية ؟ ..

عل العرب أن يجيبوا عن هذا السؤال .. هل يحب العرب أن يروا القوات البريطانية مرة أخرى ؟ هل يتصور العرب أن بريطانيا - الآن - تستطيع أن

تعمل شيئا منفردة عن المجموعة الأوربية ، وحسد أمريكا .. ثم ما الذي غلظه بريطانيا من وسائل للضغط على أطراف النزاع ؟ ويقولون أيضا : صحيح أن بريطانيا واحدة من سبع دول ، ولكنها ليست وحدها على تسعة !

أي أن بريطانيا كبيرة بين هذه الدول السبع . ولكنها والدول جميعا لا يقدرعون على ما تقدر عليه أمريكا وحدها . ويتناس البريطانيون بأنهم هم الذين كتبوا « إعلان البندقية » لأنهم أكثر الدول الأوربية دراية بالشرق الأوسط . وأقرب الجميع خبرة في الصياغة الحكيمة .. وقد كان هذا دورهم بين الدول السبع .. إنه دور كبير في مهمة متواضعة جدا ..

الا إذا رأى العرب دورا فريدا لبريطانيا . فإن كان لهم رأي فليسارعوا بإطلاع بريطانيا عليه ، قبل أن يصل اللورد كارنجتون إلى المنطقة بعد شهر من الآن .. وإلى جانب الدول الأوربية هناك اقتراح المعارضة الإسرائيلية : البديل الأردني .. أو الحل الأردني .. وهو بديل عن ماذا ؟ ..

هو بديل عن اتفاقية كامب دافيد ، وعلى الرغم من أن حزب العمل الإسرائيلي قد أعلن في ندوة مجلة « أكتوبر » أنه موافق تماما على اتفاقية كامب دافيد ، فإنه يرى أن البديل الأردني هو وحده الذي يعطي لاتفاقية كامب دافيد حيوية ودما جديدا . والبديل الأردني هو استدعاء الملك حسين ليفاض في الحكم الذاتي مع إسرائيل .. وهم يرون أنه لا داعي لاستدعاء الفلسطينيين خارج الأرض المحتلة . ففي الأرض المحتلة مليون فلسطيني وهذا يكفي . أما الفلسطينيون خارج الضفة الغربية ، فالأمر لا يعينهم ، إنما الشعب الفلسطيني في الضفة هو الذي يقرر مصيره ، ويقرر عودة بقية الفلسطينيين ..

فهل الرئيس الأسد والسوفيت حاولوا ضرب الأردن ، حتى لا يكون بديل أردني .. أي رفض اتفاقية كامب دافيد ورفض بديل عنها .. فلا حل أو محاولة لذلك . ولكن سوريا لم تضرب الأردن . ولا تستطيع أن تضرب كامب دافيد .



الملك حسين
ابن عبد الله بن عبد العزيز
وبعد مناقشة طويلة . دفع اليمن والسعودية
القوات !



الملك فيصل
الملك فيصل
الملك فيصل

